

أضواء البيان

. @ 313 @

{ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرَفِ عَيْنٌ * كَأَن زَهْنٌ بَيْضٌ مَّكَدُونٌ } . . .
ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة ثلاث صفات من صفات نساء أهل الجنة :
الأولى : أنهم { قَاصِرَاتُ الطَّرَفِ } ، وهو العين ، أي : عيونهن قاصرات على أزواجهن ، لا ينظرن إلى غيرهم لشدة اقتناعهن واكتفائهن بهم . .
الثانية : أنهم { عَيْنٌ } ، والعين جمع عيناء ، وهي واسعة دار العين ، وهي النجلاء . .
الثالثة : أن ألوانهن بيض بياضًا مشربًا بصفرة ؛ لأن ذلك هو لون بيض النعام الذي شبَّههن به ، ومنه قول امرئ القيس في نحو ذلك : الثالثة : أن ألوانهن بيض بياضًا مشربًا بصفرة ؛ لأن ذلك هو لون بيض النعام الذي شبَّههن به ، ومنه قول امرئ القيس في نحو ذلك : % (كبر المقانات البياض بصفرة % غذاها غير الماء نمير المحلل) % .
لأن معنى قوله : كبر المقانات البياض بصفرة : أن لون المرأة المذكورة كلون البيضة البكر المخالط بياضها بصفرة ، وهذه الصفات الثلاث المذكورة هنا ، جاءت موضحة في غير هذا الموضع مع غيرها من صفاتهن الجميلة ، فبيِّنَ كونهن قاصرات الطرف على أزواجهن ، بقوله تعالى في (ص) : { وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرَفِ أَتْرَابٌ } ، وكون المرأة قاصرة الطرف من صفاتها الجميلة ، وذلك معروف في كلام العرب ، ومنه قول امرئ القيس : لأن معنى قوله : كبر المقانات البياض بصفرة : أن لون المرأة المذكورة كلون البيضة البكر المخالط بياضها بصفرة ، وهذه الصفات الثلاث المذكورة هنا ، جاءت موضحة في غير هذا الموضع مع غيرها من صفاتهن الجميلة ، فبيِّنَ كونهن قاصرات الطرف على أزواجهن ، بقوله تعالى في (ص) : { وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرَفِ أَتْرَابٌ } ، وكون المرأة قاصرة الطرف من صفاتها الجميلة ، وذلك معروف في كلام العرب ، ومنه قول امرئ القيس : % (من القاصرات الطرف لو دبَّ محمول % من الذرِّ فوق الأتب منها لأثرا) % .
وذكر كونهن عيَّنًا في قوله تعالى فيهن : { وَحُورٌ عَيْنٌ } ، وذكر صفا ألوانهن وبياضها في قوله تعالى : { كَأَمْثَالِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْدُونِ } ، وقوله تعالى : { كَأَن زَهْنٌ أَلْيَاقُوتٌ وَالْمَرْجَانُ } ، وصافتهن كثيرة معروفة في الآيات القرآنية . . .
واعلم أن اللّاه أثنى عليهن بنوعين من أنواع القصر :
أحدهما : أنهم { قَاصِرَاتُ الطَّرَفِ } ، والطرف العين ، وهو لا يجمع ولا يثنى لأن

أصله مصدر ، ولم يأتِ في القرآن إلا مفرداً ؛ كقوله تعالى : { لَا يَرْتَدُّوا إِلَىٰ أَيْمَانِهِمْ طَرَفُهُمْ وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءُ } ، وقوله تعالى : { يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ } ، ومعنى كونهن { قاصراتُ الطَّرفِ } هو ما قدَّما من أنهن لا ينظرن إلى غير أزواجهن بخلاف نساء الدنيا .